المنهج الوظيفي عند الدكتور أحمد المتوكل.

بقلم الدكتورة: اسمهان ميزاب

جامعة حمه لخضر -وادي سوف- الجزائر.

ملخص:

يعد الدكتور أحمد المتوكل رائد المنحى الوظيفي العربي؛ حيث تكفل بالتطبيق على قضايا اللغة العربية، و مسائلها الدلالية- التداولية، والصرفية- التركيبية.

وقد جعل من أهداف مشروع المنحى اللّساني الوظيفي العربي وضع منهجية علمية لقراءة التراث واستثماره.

ومن المقومات التي أقام عليها المنهجية التي اقترحها مقوّمات مركزية ثلاثة ذكرها في مقدمة كتابه "مسائل النحو العربي في قضايا نحو الخطاب الوظيفي" هي:

أولاّ: تحكيم النظريات اللّسانية ذات التوجه الوظيفي؛ حديثة كانت أم قديمة (ومن ضمنها التراث اللّغوي العربي) إلى ميتانظرية عامة سمّاها " النظرية الوظيفية المثلى" تحكيما يكفل الإقساط وتلافي الإسقاط.

ثانيا: رفع مفهوم " القطيعة المعرفية" عن علاقة اللّسانيات الحديثة بالفكر اللّغوي القديم، واعتبار المنحى الوظيفي العربي الحديث امتدادا طبيعيا للدراسات البلاغية والأصولية والنحوية العربية القديمة.

ثالثا: إقامة الحوار بين الدّرس اللّساني الوظيفي الحديث والفكر اللّغوي العربي القديم على أساس أنّه تاريخ ومرجع يُحتكم إليه حين الحجاج لورود مقاربة ظواهر لغوية عربية معينة ومصدر يُمتح

منه عند الاحتياج إلى مفاهيم أو تحليلات مناسبة يمكن أن تغني المقاربة الوظيفية لقضايا اللّغة العربية على الخصوص، وقضايا اللّغات الطبيعية بوجه عام.

و إن كانت المقاربة الوظيفية لمختلف أعماله تتبدى في نقاط عديدة ومتنوعة فإني في هاته الورقة سأركز على النقاط التالية:

1. المبادئ النظرية الوظيفية؛ حيث ركز على الوظيفة الأساسية للغات الطبيعية، وهي وظيفة التواصل.

2 . البنية في النحو الوظيفي؛ حيث جعل من البنية الوظيفية نوعا من البنيات.

3 . الوظائف في نظرية النحو الوظيفي؛ حيث وزعها على ثلاثة مستويات وظيفية:

أ- الوظائف الدلالية

ب- الوظائف التركيبية

ج- الوظائف التداولية.

تمهيد:

يعنى الاتجاه الوظيفي بكيفية استخدام اللغة، و بقيمتها الاتصالية، و منه فهو يستند على البعد التداولي للغة، باعتبارها وسيلة تواصل.

و مما لا شك فيه أن الدكتور أحمد المتوكل، يعد صاحب نظرية وظيفية في الأساس، وهي نظرية النحو الوظيفي، التي تعود جذورها الأولى للساني الهولندي سيمون ديك[1] عام 1978 من خلال كتابه " النحو الوظيفي " (Funcional Grammar)

ويعد النحو الوظيفي النظرية الوظيفية التداولية الأكثر استجابة لشروط التنظير من جهة، ولمقتضيات النمذجة للظواهر اللّغوية من جهة أخرى، كما يمتاز على غيره من النظريات التداولية بنوعية مصادره، فهو محاولة لصهر بعض من مقترحات نظريات لغوية كالنحو العلاقي، ونظريات فلسفية كنظرية الأفعال اللّغوية، التي أثبتت قيمتها في نموذج صوري مصوغ حسب مقتضيات النمذجة في التنظير اللّساني الحديث. [2]

و بناء على ذلك فإن المقاربة الوظيفية لمختلف أعماله، تتبدى في نقاط عديدة ومتنوعة، باعتباره صاحب نظرية وظيفية، إلاّ أني سأركز على النقاط التالية:

أولا: مبادئ النظرية الوظيفية: لخص المتوكل المبادئ المنهجية الأساسية المعتمدة في النحو الوظيفي فيما يلي: [3]

1- وظيفة اللّغات الطبيعية الأساسية هي وظيفة التواصل .
2- موضوع الدرس اللساني هو وصف القدرة التواصلية للمتكلم – المخاطب.
3- النحو الوظيفي نظرية للتركيب والدلالة منظورا إليهما من وجهة نظر تداولية.
4- يجب أن يسعى الوصف اللّغوي الطامح إلى الكفاية إلى تحقيق أنواع ثلاثة من الكفاية:

أ –الكفاية النفسية.

ب -الكفاية التداولية.

ج– الكفاية النمطية.

ومنه نتبين من المبدأ الأول أنّ أيّ لغة طبيعية، الهدف الأساس منها هو التواصل، وهو ما ذهب إليه سيمون ديك من أنّ التواصل «عملية ذات أبعاد مختلفة: بعد " علاقي" وبعد " توجيهي" وبعد " إخباري" وبعد " تعبيري" وبعد " استثاري" تتكامل كلها لتأدية وظيفة التواصل.» [4]

وكذلك لابد للّساني أن يصف القدرة التواصلية، وهو ما يمثل المبدأ الثاني، وهو مبدأ حاول من خلاله "سيمون ديك" أن يعيد النظر في مفهوم القدرة، فإن كان تشومسكي يرى أنّ القدرة قدرتان:" قدرة نحوية" صرف و " قدرة تداولية " فإنّ ديك يرى بأنّها ما يمكّن مستعملي اللّغة الطبيعية من التواصل فيما بينهم بواسطة العبارات اللّغوية، أي ما يمكنهم من التفاهم والتأثير في مدخرهم المعلوماتي، والتأثير حتى في سلوكهم الفعلي عن طريق اللّغة.

وتتكون القدرة التواصلية من خمس ملكات على الأقل وهي: الملكة اللّغوية، والملكة المنطقية والملكة المعرفية والملكة الإدراكية والملكة الاجتماعية[5]

وتقوم كل من هذه الملكات بدورها في عملية التواصل على الشكل التالي: [6]

تمكن الملكة اللّغوية مستعمل اللّغة الطبيعية من أن ينتج ويؤول إنتاجا وتأويلا صحيحين عبارات لغوية ذات بنيات متنوعة جدا ومعقدة جدا في عدد كبير من المواقف التواصلية المختلفة.

وبفضل الملكة المنطقية يستطيع مستعمل اللّغة الطبيعية، باعتباره مزودا بمعارف معينة، أن يشتق معارف أخرى بواسطة قواعد استدلال تحكمها مبادئ المنطق الاستنباطي والمنطق الاحتمالي.

ج- وتمكّن الملكة المعرفية مستعمل اللّغة الطبيعية من تكوين رصيد من المعارف المنظمة، وبفضلها يستطيع أن يشتق معارف من العبارات اللّغوية، كما يستطيع أن يختزن هذه المعارف في الشكل المطلوب، وأن يستحضرها لاستعمالها في تأويل العبارات اللّغوية.

د – ويتمكن مستعمل اللّغة الطبيعية، بواسطة الملكة الإدراكية من أن يدرك محيطه، وأن يشتق من هذا الإدراك معارف يستطيع استخدامها في إنتاج العبارات اللّغوية وتأويلها.

هـ- أمّا الملكة الاجتماعية، فيها يتوسل مستعمل اللّغة الطبيعية لمعرفة وضبط الكيفية التي ينبغي أن يخاطب بها مخاطَبا معيّنا في موقف تواصلي معين قصد تحقيق أهداف تواصلية معينة.

وأمّا المبدأ الثالث، فإنّه يعد استثمارا حقيقيا لحقل التداولية، حيث أضيف هذا العلم إلى الجوانب التركيبية والدلالية قصد تحقيق أهداف تواصلية محددة، وهذا في إطار السعي إلى تحقيق الكفاية التداولية بالإضافة إلى الكفايتين النفسية والنمطية.

ومنه يبدو لنا جليا المنحى الوظيفي، من خلال هذا العنصر باعتبار أنّ النظريات الوظيفية، تعد اللّغة وسيلة للتواصل الاجتماعي، أي نسقا رمزيا يؤدي مجموعة من الوظائف أهمها وظيفة التواصل.

ثانيا: الوظائف في نظرية النحو الوظيفي: وزّع المتوكل الوظائف في نظرية النحو الوظيفي على ثلاثة مستويات وظيفية هي:

أ -الوظائف الدلالية، ب- الوظائف التركيبية (الوِجهية)، جـ- الوظائف التداولية، وتختلف هذه الوظائف لا من حيث طبيعتها فحسب، بل كذلك من حيث مجالها ومسطرة إسنادها ودورها في الخطاب.

أ -**الوظائف الدلالية:** هي وظائف ناتجة عن البنية الحملية المتكونة من محمولات دالة على واقعة ما (عمل، حدث، وضع، حالة) وحدود تدل على المشاركين في هذه الواقعة، كما يتبين من التمثيل العام التالي: [7]

ب ⟶ [(محمول)، (حد1، حد2،....حد ن)]

واقعة مشاركون

"وتتحدد وظيفة كل حد طبقا لنوع مشاركته في الواقعة الدّال عليها المحمول. فهو إمّا "منفذ" أو "متقبل" أو " مستقبل" حيث تكون الواقعة " عملا" كما في الجملة التالية:

- أعطى خالد (منفذ) عليا (مستقبل) كتابا (متقبل)

وهو قوة إذا كانت الواقعة حدثا.

- دوّى الرعد (قوة)

و" متموضع" و " حائل" حين تكون الواقعة " وضعا" أو " حالة"

- جلس خالد (متموضع).
- هند (حائل) فرحة.

هذا بالنظر إلى الحدود الواردة موضوعات، أمّا الحدود اللواحق فإنها تأخذ وظائف دلالية ظرفية كوظائف " الزمان" و " المكان" و " الأداة" و " الحال" و" العلة" وغيرها من أمثلة ذلك:

أ -قابلني خالد مبتسما. (حال)

ب -رأيت هند البارحة (زمان) في الشارع (مكان)

جـ- قطّعت هند اللحم بالسكين (أداة)

د- أُخرجت هند من القاعة عقابا لها (علة) [8]

وبناء على ما سبق نستنبط أن الحدود قسمان: حدود موضوعات، وحدود لواحق.الحدود الموضوعات يمكن أن تسند إليها الوظائف الدلالية الأربع التالية: " المنفذ" إذا كان المحمول دالا على عمل و " القوة" إذا كان المحمول دالا على حدث و "المتموضع" إذا كان المحمول دالا على وضع ، و" الحائل" إذا كان المحمول دالا على حالة، أمَّا الحدود اللواحق يقتصر دورها على تخصيص الظروف (المكانية، الزمانية،...) المحيطة بالواقعة الدال عليها المحمول.

ب- الوظائف التركيبية (الوجهية): « هي الوظائف التي تسند إلى الحدود بالنظر إلى "الوِجهة" التي ينطلق منها المتكلم لتقديم فحوى خطابه، للواقعة التي يتضمنها الخطاب على الخصوص»[9] بحيث " تقدم الواقعة انطلاقا من " وجهة" معينة فتُنتَقى بعض الحدود لتكون إمّا "منظورا رئيسيا"

أو "منظورا ثانويا" وتظل الحدود الأخرى خارج مجال الوِجهة. الحدّان " الوجهيان" حدَّان اثنان الحد المتخذ " منظورا رئيسيا" والحد المتخذ " منظورا ثانويا". [10]

إلى هذين الحدين تسند الوظيفتان التركيبيتان " الفاعل" و " المفعول".

أ – **الفاعل:** << تسند الوظيفة الفاعل إلى الحد الذي يشكل المنظور الرئيسي للوجهة التي تُقدّم انطلاقا منها الواقعة الدّال عليها محمول الحمل >>. [11] ومن خصائص المكون فاعل الجملة الفعلية في اللغة العربية أنّه لا يتقدم على فعله، إذ أنّ الجمل التي من قبيل – الطالبات، نجحن – لا يمكن أن تفهم إلاَّ على أساس أنها جمل معقدة تتكون من " مبتدأ" و "حمل" يتضمن فعلا و لاصقة فاعلا يربطها إحاليا المكون المبتدأ[12] ويأخذ المكون "الفاعل" الحالة الإعرابية الرفع.
ويحدد الدكتور أحمد المتوكل سلمية إسناد الفاعل كما يلي: [13]

منف مك
قو > مستق > متق > زم
متض حد
حا

فا + + + +

مفاد هذه السلمية أن الحدود التي يمكن أن تسند إليها وظيفة الفاعل هي الحدود الحاملة للأدوار الدلالية" المنفذ" و الأدوار المحاقلة له " القوة" و " المتموضع" و " الحائل" و" الحدث"

و" المستقبل" و" المتقبل" و" المكان" و" الزمان" كما يتبين من الجمل التالية: [14]

1 -كتب زيد (منف فا) مقالا.
2 -حطم الرعد (قو فا) الدار.
3 -وقف زيد (متض فا) بباب الحجرة.
4 -خالد (حا فا) فرح.
5 -حُزن حزن (حد فا) شديد على ذهاب زيد.
6 -انتُقد زيد (متف فا).
7 -أعطي عمرو (مستف فا) حقيبة

8 خُرج من الدار (مك فا).

9 صيم يومُ الجمعة (زم فا)

أمّا الحدود التي لا يمكن أن تسند إليها وظيفة الفاعل فهي الحدود الحاملة للأدوار الدلالية "المستفيد" و "الحال" و "العلة" و" المصاحب" كما يدل على ذلك لحن الجمل الآتية: [15]

1 اشترى لزيد (مستف فا) حقيبة. (بنصب حقيبة.)

2 تُوقِّف ملل (عل فا)

3 جيء راكب (حال فا)

4 سِيرَ والنِّيل (مصا فا)

ب **المفعول:** « تسند الوظيفة المفعول إلى الحد الذي يشكل المنظور الثانوي للوجهة التي تُقدَّم انطلاقا منها الواقعة الدال عليها محمول الحمل».[16]

ومن خصائص المكون " المفعول" أنه يحتل الموقع الموالي لموقع الفاعل في الجمل الفعلية، والموقع الموالي لموقع المحمول غير الفعلي في الجمل الاسمية و الرابطية كما يتبين من الجمل التالية: [17]

أ

1 أعطيت خالدا باقة ورد.

2 قابلت هندا.

3 سار القوم فرسخين.

4 صام عمرو يوم الاثنين

5 سرت سيرا حثيثا.

ب

1 خالد عاشق هندا

2 كان خالد عاشقا هندا

3 ما زال خالد عاشقا هندا

ويأخذ المكون المفعول الحالة الإعرابية " النصب"

ويحدد المتوكل سلمية إسناد المفعول كما يلي: [18]

مستق > متق > { مك / رم / حد }

مف + + + +

مفاد هذه السلمية أنَّ الوظيفة " المفعول" يجوز إسنادها حسب درجات الأولوية إلى الحد المستقبل، والحد المتقبل، وأحد الحدود الحاملة للوظائف الدلالية " المكان" و" الزمان" و" الحدث" كما يتبين من الجمل التالية: [19]

أ –أعطيت خالدا باقة ورد.

ب –قابلت هندا.

جـ– سار القوم فرسخين.

د. صام عمرو يوم الاثنين.

هـ– سرت سيرا حثيثا.

وتجدر الإشارة هنا إلى مساهمة كل من الوظيفتين التركيبيتين " الفاعل" و" المفعول" في الربط بين البنية الحملية (بنية الوظائف الدلالية) والبنية المكوّنية (البنية الصرفية – التركيبية)، إذ تحددان إعراب وموقع المكونين اللذين تسندان إليهما. [20]

مع العلم أن الوظائف التركيبية مفاهيم غير كلية، بخلاف الوظائف الدلالية والتداولية، بمعنى أن استخدامها غير وارد في وصف جميع اللغات الطبيعية، إذ أنَّ هناك لغات متعددة لا يحتاج في وصف خصائصها الوصف الكافي لاستعمال مفهوم " الفاعل" ومفهوم " المفعول"، تمتاز هذه اللغات بأنَّ الوظيفة " الفاعل" لا يمكن إسنادها إلاَّ إلى الموضوع " المنفذ" بحيث لا نجد في هذه اللغات تراكيب مبنية للمجهول، وأنَّ الوظيفة " المفعول" لا يمكن إسنادها إلاَّ إلى الموضوع "المتقبل"، بحيث لا نجد فيها ما يقابل التراكيب التي من قبيل: أعطى خالد بكرا قلما. [21]

الوظائف التداولية: تتميز الوظائف التداولية بكون إسنادها يرتبط بالسياق في بعديه المقامي والمقالي، وبالتحديد بعلاقة التخابر بين المتكلم والمخاطب في موقف تواصلي معين.

ويتضمن المقام التواصلي معارف المتكلم والمخاطب، ومعتقداتهما، وافتراضاتهما أثناء قيامهما بإنتاج الكلام أو فهمه، وتعرف هذه المجموعة من المعارف والمعتقدات والافتراضات "بالمعلومات التداولية" [22]

والوظائف التداولية تحدد وضع المكونات داخل البنية الإخبارية وهي تصنف بالنظر إلى وضعها بالنسبة للحمل إلى صنفين: وظيفتان داخليتان تنتميان إلى الحمل وهما المحور والبورة، ووظائف تداولية خارجية لا تنتمي إلى الحمل وهي: (المبتدأ، الذيل والمنادى).

1 -الوظائف الداخلية:

أ -**المحور:** << تسند الوظيفة المحور إلى المكون الدال على الذات التي تشكل محط الحديث داخل الحمل >>[23] كما هو الحال بالنسبة للمكون " هند" الذي يشكل محط الحديث، أي أنَّ الحديث يتّجه نحوه في الحوار التالي:

أ -ماذا شربت هند؟

ب شربت هند فنجان قهوة

<< وتسند وظيفة المحور، إلى أحد موضوعات البنية الحملية الحامل لوظيفة دلالية: " منفذ، متقبل، مستقبل، مستفيد، زمان، مكان..." والمسندة إليه أحيانا إحدى الوظيفتين التركيبيتين **(الفاعل والمفعول)**>>.[24]

ومنه فجميع هاته المكونات يمكن إسناد وظيفة المحور إليها شريطة أن تكون دالة على "المتحدث عنه"؛ إلاَّ أنَّ المكون " الفاعل" يستأثر حين وروده بهذه الوظيفة.

وعليه يقترح د/ المتوكل سلمية إسناد وظيفة المحور الآتية:[25]

مفعول
مستقبل
متقبل
فاعل أداة
زمان
مكان

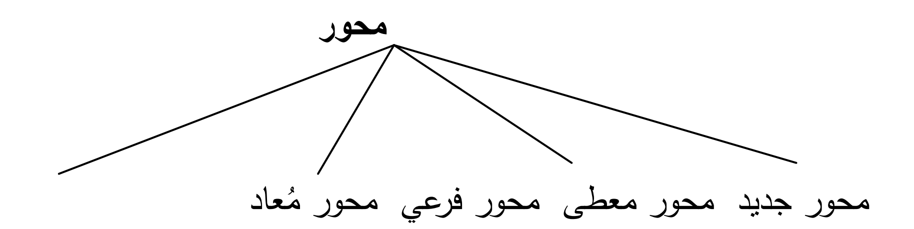
و تسند إلى المكون " المحور"، باعتباره مكونا داخليا الحالة الإعرابية المجردة التي تقتضيها وظيفته الدلالية أو وظيفته التركيبية وفقا للمبدأ الآتي: [26]

1 -إذا كان المكون حاملا لوظيفة دلالية فقط (متقبل، مستفيد، زمان، مكان...) فإنّه يأخذ الحالة الإعرابية التي تخوله إياها هذه الوظيفة (الحالة الإعرابية النصب إذا لم يكن داخلا على المكون حرف جر).

2 -إذا كان المحمول حاملا، بالإضافة إلى وظيفته الدلالية، إحدى الوظيفتين التركيبيتين (الفاعل والمفعول)، فإنّه يأخذ الحالة الإعرابية التي تقتضيها وظيفته التركيبية (الرفع بالنسبة للوظيفة الفاعل والنصب بالنسبة للوظيفة المفعول.)

وتجدر الإشارة هنا أنّ المحاور في أدبيات النحو الوظيفي أربعة أصناف: أ- محور جديد،

ب- محور معطى، ج- محور فرعي، د- محور معاد، يوضح هذه الأصناف الأربعة من المحاور الرسم التالي: [27]



بحيث << يعد " محورا جديدا" المحور الذي يدرج لأول مرة في الخطاب وحين يعاد إدراج نفس هذا المحور في الخطاب فإنّه يصبح " محورا معطى"، وفي حالة مكوث هذا المحور محطا للخطاب فإنّه يعاد ذكره ويتم ذلك إمّا بطريقة مباشرة أو بواسطة أحد متعلقاته أو توابعه.في الحالة الأولى، تكون أمام " محور معاد" وفي الحالة الثانية تكون أمام " محور فرعي>>.[28]

وقد لاحظ المتوكل أنّ اللّغة العربية لا تختلف عن غيرها من اللّغات في كونها تنزع كغيرها إلى تجميع وظيفة المنفذ ووظيفة الفاعل، ووظيفة المحور في مكون واحد، وهو ما يطلق عليه في أدبيات اللسانيات النمطية مصطلح " الفاعل النموذجي"[29] كما هو الحال في جملة:

شربت هند فنجان قهوة.

فالمكون" هند" يجمع بين وظيفة المنفذ والفاعل والمحور.

ب -البؤرة: يعرّف ديك البؤرة بأنّها << الوظيفة التي تسند إلى المكون الحامل للمعلومة الأكثر أهمية أو الأكثر بروزا في الجملة.>> (30)

ومنه فإنّ الموقف التواصلي لا يخلو من المعلومة البؤرية التي يعتقد المتكلم أنّها أحرى بأن تدرج في مخزون معلومات المخاطب.

وقد قسّم المتوكل البؤرة من حيث وظيفتها إلى قسمين:بؤرة الجديد وبؤرة المقابلة.

1 -بؤرة الجديد: تُعرّف بؤرة الجديد بأنّها البؤرة المسندة إلى المكون الحامل للمعلومة التي يجهلها المخاطب (المعلومة التي لا تدخل في القاسم الإخباري المشترك بين المتكلم والمخاطب.) (31)

ينطبق هذا التعريف على المكونين " متى" و "غدا" في الجملتين التاليتين: (32)

أ -متى سألقاك؟

ب -سألقاك غدا.

ويقسم المتوكل هذا الضرب من البؤرة إلى قسمين:

أ -بؤرة طلب ب- بؤرة تتميم.

أ -بؤرة طلب: وقد سميت بهذا الاسم؛ لأنّ المتكلم يطلب من المخاطب أن يمده بمعلومة لا تتوافر في مخزونه.

ب -بؤرة تتميم: سميت بهذا الاسم، لأنّ المكون المعني بالأمر يحمل معلومة تُتَمِّم مخزون المتكلم.(33)

وعلى هذا الأساس يكون اسم الاستفهام " متى" في الجملة السابقة بؤرة طلب، في حين يكون المكون " غدا" بؤرة تتميم في الجملة الواردة جوابا لها.

2- بؤرة المقابلة: << هي البؤرة التي تسند إلى المكون الحامل للمعلومة التي يشك المخاطب في ورودها، أو المعلومة التي يُنكر المخاطب ورودها>>.(34)

وينطبق هذا التعريف على المكونين المتصدرين في الجملتين التاليتين:

أ -أقميصا اقتنت زينب.

ب -معطفا اقتنت زينب.

والمكون المفصول في الجملتين التاليتين:

أ–اقتنت زينب قميصا.

ب– الذي اقتنته زينب معطف

والمكون المستثنى في الجملة التالية:

– ما اقتنت زينب إلاّ معطفا. [35]

ويقسمها الدكتور أحمد المتوكل إلى الأقسام التالية:

1 –بؤرة جحود 2– بؤرة توسيع 3– بؤرة تعويض 4– بؤرة حصر 5– بؤرة انتقاء.

1 –**بؤرة جحود:** تسند إلى المكون الحامل لمعلومة من معلومات مخزون المخاطب يعدها المتكلم غير واردة، وترد عامة في سياق النفي نحو:

أ –ذهب خالد إلى تطوان.

ب –لا، لم يذهب خالد إلى تطوان (بنبر تطوان).

2 –**بؤرة توسيع:** قد تتوافر في مخزون المخاطب معلومة يعدّها المتكلم واردة، لكن ناقصة، فيضيف إليها ما يكملها نحو:

لا، لم يذهب خالد إلى تطوان فحسب، بل كذلك إلى طنجة.

3 –**بؤرة تعويض:** تسند إلى المكون الحامل للمعلومة المكمّلة، حيث تتوارد البؤرتان: بؤرة الجحود، وبؤرة التعويض في نفس الجملة نحو: " لا، لم يذهب خالد إلى تطوان بل ذهب إلى طنجة".

4 –**بؤرة الحصر:** ترد في السياقات التي يكون فيها مخزون المخاطَب متضمنا لمعلومة واردة ومعلومة يعدها المتكلم غير واردة نحو:

أ –لا لم يذهب خالد إلى تطوان وطنجة بل إلى طنجة فقط.

ب –لا لم يذهب خالد إلاّ إلى طنجة.

ج– لا، إنّما ذهب خالد إلى طنجة.

5 –**بؤرة انتقاء:** تسند إلى المكون الذي يحمل معلومة ينتقيها المتكلم من بين مجموعة من المعلومات يتردد المخاطب في أيّها وارد.مثال ذلك ما نجده في الحوار التالي:

أ –إلى طنجة ذهب خالد أم إلى تطوان أم إلى الرباط؟

ب –إلى الرباط، ذهب خالد. [36]

وتنقسم البؤرة من حيث مجال الوظيفة إلى قسمين: " بؤرة المكون" و " بؤرة الجملة"، حيث تسند كل من بؤرة المقابلة وبؤرة الجديد إلى مكون من مكونات الجملة، أو إلى الجملة برمتها.[37]

فالجملتان التاليتان تحتويان على " بؤرة المكون" باعتبار أنّ البؤرة (بؤرة جديد وبؤرة مقابلة) مسندة فيهما إلى مكون من مكوناتهما:

أ- عاد زيد من السفر البارحة

ب- عن مقالته حدثني عمرو البارحة (لا عن كتابه)

بيد أن الجملة التالية: أحضر الضيوف (أم لا) ، تحتوي على " بؤرة جملة " باعتبار أنّ البؤرة مسندة فيها إلى الجملة برمتها. (38)

ويشير أحمد المتوكل أثناء حديثه عن بؤرة الجملة إلى أنّ أداة الاستفهام " الهمزة " تدخل على الجمل المسندة إليها بؤرة المقابلة، ولا تدخل على الجمل المسندة إليها بؤرة الجديد، وقد تكون مسندة إلى مكون من مكونات الجملة نحو: أغدا ألقاك (أم بعد غد)؟ أو إلى الجملة برمتها نحو: أحضر الضيوف أم لا؟ وهذا على عكس أداة الاستفهام " هل" فإنّها تدخل على الجمل التي تكون فيها البؤرة بؤرة جديد من حيث نوعها، وبؤرة جملة من حيث مجالها، فهذه الأداة بعبارة أخرى لا تدخل على الجمل التي تحتوي على مكون مبأر، ولا على الجمل التي تكون البؤرة المسندة فيها إلى الجملة برمتها بؤرة مقابلة. (39)

1 -الوظائف الخارجية:

أ -**المبتدأ:** يعتبر وظيفة تداولية متميزة عن الوظائف التركيبية، وعلى هذا الأساس يعرّفه سيمون ديك بقوله: << هو ما يحدد مجال الخطاب الذي يعتبر الحمل بالنسبة إليه واردا>>. (40)

أي أنّ المبتدأ يحدد مجال الخطاب بالنسبة لما يأتي بعده، ونورد المثال التالي للتوضيح: (41)

زيد قام أبوه

زيد قام أبوه

مجال الخطاب خطاب

مبتدأ حمل

ويشترط في المبتدأ أن يكون معرفا، ولا يقصد هنا المعيار التركيبي المعروف (دخول الألف واللاّم، والإضافة...) بل المعيار التداولي وهو " إحالية المبتدأ" المرتبطة بالمقام، أو على وجه التحديد بما يسمى بالوضع التخابري بين المتكلم والمخاطب، أي لابد أن يكون المخاطب قادرا على التعرف على ما تحيل عليه العبارة. (42)

يتسم المبتدأ بخارجيته باعتباره مستقلا عن الجملة؛ أي لا يشكل موضوعا من موضوعات الفعل (أو ما يشابهه) باعتباره محمولا، ومنه فهو لا يخضع لقيود الانتقاء التي يضعها الفعل أو ما يشبهه بالنسبة لموضوعاته. ففي الجملة: " الكتاب، شرب مؤلفه شايا" نلاحظ أن الفعل "شرب" ينتقي موضوعيه (الفاعل والمفعول) بمقتضى قيدي [حي] و [سائل] على التوالي، ولكنّه لا ينتقي المبتدأ. (43)

غير أنّ هذا الأمر لا يعني الاستقلالية التامة التي تبيح أن تلي أيّة جملة أي مبتدأ نحو:

" السيارة تفتحت أكمامها ".

فمبدأ الورود المشترط في تعريف المبتدأ يحتم أن تكون بين المبتدأ والجملة التي تليه علاقة تجعل الجملة صالحة لأن تحمل على المبتدأ. (44)

ويأخذ هذا المكون بحكم وظيفته التداولية الحالة الإعرابية الرفع.

ب -الذيل: يعرّف الذيل بأنّه << المكون الذي يوضح أو يعدل أو يصحح معلومة واردة في الحمل.>> (45)

وانطلاقا من هذا التعريف يميّز المتوكل بين ثلاثة أنواع من الذيول: " ذيل التوضيح" و "ذيل التعديل" و"ذيل التصحيح".

1 **-ذيل التوضيح:** تتجلى هاته الوظيفة عندما يعطي المتكلم معلومة، ثم يلاحظ أنّها ليست واضحة فيضيف إليها ما يزيل الإبهام، نحو جملة: " أخوه مسافر، زيد" حيث تضاف المعلومة التي يحملها المكون الذيل" زيد" لإزالة إبهام الضمير في " أخوه".
2 **-ذيل التعديل:** وتظهر هذه الوظيفة عندما يعطي المتكلم المعلومة، ثم يلاحظ أنّها ليست بالضبط المعلومة المقصود إعطاؤها، فيضيف المعلومة التي يحملها المكون " نصفه" لتعديل المعلومة التي تعدلها، ففي جملة " قرأت الكتاب، نصفه" تضاف

المعلومة التي يحملها المكون " الكتاب" ويظهر ذيل التعديل في البنيات البدلية المتعارف عليها عند النحاة القدامى.

3 **ذيل التصحيح:** تتجلى هاته الوظيفة عندما يعطي المتكلم المعلومة غير المقصود إعطاؤها فيصححها بمعلومة أخرى، ويستأثر ذيل التصحيح بالظهور في البنيات الإضرابية نحو:" قابلت اليوم زيدا، بل خالدا"، حيث تضاف المعلومة التي تحملها العبارة "خالدا" لتصحيح المعلومة التي تحملها العبارة "زيدا".(46)

ج- **المنادى:** هي وظيفة اقترحها الدكتور المتوكل في إطار النحو الوظيفي، باعتبار أنّ الوصف اللّغوي الساعي إلى الكفاية لا يمكن أن يغفل المكون " المنادى" لوروده في سائر اللّغات الطبيعية، ولغنى خصائصه في بعضها كاللّغة العربية على سبيل المثال.

ويعرّف هذه الوظيفة بقوله: << المنادى وظيفة تسند إلى المكون الدّال على الكائن المنادى في مقام معين.>> (47)

وهو بهذا التعريف يميّز بين النداء كفعل لغوي يحدد جهة الجملة كالاستفهام والأمر والوعيد...، والمنادى كوظيفة تسند إلى أحد مكونات الجملة كالمكون زيد في جملة: يا زيد، أخوك مقبل، وهي مرتبطة بالمقام.

يشاطر المتوكل النحاة العرب في تمييزهم بين "المنادى" و" المندوب" و "المستغاث" إلاّ أنّه يعتبرها أنوعا ثلاثة لنفس الوظيفة، وظيفة المنادى، ويصطلح على تسميتها بـ " منادى النداء" و " منادى الندبة " و " منادى الاستغاثة".(48)

وتنعكس خارجية المكون المنادى بالنسبة للحمل من إعرابه وموقعه داخل الجملة.

فيما يتعلق بإعرابه فإنّ المتوكل يوافق النحاة العرب في اعتبارهم أنّ الحالة الإعرابية التي يأخذها المنادى هي النصب إذا كان نكرة غير مقصودة أو مضافا، أو شبيها بالمضاف، ويبنى على ما يرفع به إذا كان نكرة مقصودة أو معرفة، ويخالفهم في أنّه يعتبر أنّ المنادى يأخذ الحالة الإعرابية النصب لا بمقتضى تقدير فعل ناصب له تقديره " أدعو" بل بمقتضى وظيفته التداولية.(49)

أمّا أدوات النّداء فيرى المتوكل أنّ أهمها:" أيّها" و" يا" و" أ" حيث قلّص قائمة الأدوات الواردة في كتب النحو، وعدّ عبارة "أيّها" أداة واحدة تدخل على المنادى كباقي أدوات النداء الأخرى خلافا للنحاة العرب الذين يعتبرونها مركبة من الموصول "أي" وأداة التنبيه " ها"[50]

وهي لا تدخل على المنادى العلم، وإذا خُصّص بالألف واللاّم فإنّه لا يسبق بغيرها.[51]

وإذا كان المنادى غير مخصص بالألف واللاّم، فإنّه لا يُسبق إلاّ بأداة النداء " يا".[52]

أمّا فيما يتعلق بموقعه في الجملة باعتباره مكونا خارجيا، فإنّه يمكن أن يشكل بمفرده جملة قائمة الذات نحو: يا خالد.

وفي حالة وروده مع الحمل، يمكن أن يتصدر الجملة، كما يمكن أن يقع في آخرها نحو:

أ –يا زيد، إنّ الحر شديد.

ب إنّ الحر شديد، يا زيد.

كما يمكن أن يتقدم على المبتدأ، ويتأخر عن الذيل نحو:

أ –يا زيد، أخوك، زاره عمرو.

ب أعجبني صديقك، سلوكه، يا خالد.

مع الإشارة إلى أنّه يحتل في غالب الأحوال موقعا سابقا لموقع المبتدأ؛ باعتباره مقصودا به تنبيه المخاطب بالدرجة الأولى.[53]

ثالثا: البنية في النحو الوظيفي (البنية الحملية، الوظيفية، المكونية) :

يرى المتوكل أن الجملة تشتق، بواسطة بنيات ثلاث، هي: البنية الحملية الممثل فيها للخصائص الدلالية، والبنية الوظيفية الممثل فيها للخصائص الوظيفية، والبنية المكوّنية محل التمثيل للخصائص الصرفية – التركيبية.

أولاً: البنية الحملية: ويتم بناؤها عن طريق قاعدة الأساس، ويشمل الأساس مجموعتين اثنتين من القواعد تسهمان معا في بناء الجملة الحملية: المعجم، وقواعد تكوين المحمولات والحدود، حيث يضطلع المعجم بإعطاء الأطر الحملية والحدود الأصول، في حين أنّ قواعد التكوين تقوم باشتقاق الأطر الحملية، والحدود غير الأصول كما يتبين من الشكل التالي:[54]



وتتكون هاته البنية من بنيتين متحدتين، هما: بنية الحمل وبنية الدلالة.

1 - **بنية الحمل:** يمثل فيها لمحمول الجملة وحدوده التي يفرضها. [55]

2 - **بنية الدلالة:** يمثل فيها لدلالة محمول الجملة، وللوظائف الدلالية للحدود التي يفرضها – فمحمول الجملة – الذي ينتمي تركيبيا إلى مقولة الفعل أو الاسم أو الصفة أو الظرف يدل على واقعة، وتصنف في نظرية النحو الوظيفي في حقل الأعمال أو الأحداث أو الأوضاع، أو الحالات.أمّا الحدود فتدل على المشاركين في تحقيق الواقعة، وهي بالنظر إلى أهميتها في تحقيق الواقعة قد تكون موضوعات أساسية، كالذات المنفذة، والذات المتقبلة أو المستقبلة، وقد تكون حدودا غير أساسية (لواحق) يقتصر دورها على الإشارة للظروف والملابسات التي أحاطت بالواقعة، كأن تدل على زمانها أو مكانها أو علتها.[56]

وتعد البنية الحملية مدخلا للبنية الوظيفية بواسطة تطبيق قواعد إسناد الوظائف، ويتم تطبيق هذه القواعد في مرحلتين اثنتين: مرحلة إسناد الوظائف التركيبية، ومرحلة إسناد الوظائف التداولية.

2- البنية الوظيفية: تنقسم هذه البنية إلى قسمين متلازمين هما:

أ - **البنية التركيبية:** ويتم فيها إسناد وظيفتين تركيبيتين فقط هما الفاعل والمفعول اللّتان تسندان بالتوالي إلى الحد الذي يشكل المنظور الرئيسي للوجهة المنطلق منها في تقديم الواقعة والحد الذي يشكل" المنظور الثانوي" لهذه الوجهة. [57]

ب - **البنية التداولية:** يتم فيها إسناد الوظائف التداولية إلى مكونات الجملة، وتقسّم بالنظر إلى وضعها بالنسبة للحمل إلي قسمين: وظائف خارجية وهي (المبتدأ والذيل والمنادى) وتسند إلى المكونات التي لا تنتمي إلى الحمل ذاته، ووظيفتان داخليتان هما (المحور والبؤرة) تسندان إلى مكونات تعد عناصر من عناصر الحمل ذاته.

وتمتاز الوظائف التداولية بكونها علاقات تقوم بين مكونات الجملة على أساس البنية الإخبارية المرتبطة بالمقام. [58]؛ أي لا بد من مراعاة الطبقات المقامية التي تستمد من السياق بكل أبعاده الاجتماعية والثقافية والحضارية والنفسية واللّغوية.

3 - **البنية المكونية:** يقصد بالبنية المكونية البنية الصرفية التركيبية، ويتم بناء هذه البنية عن طريق إجراء قواعد التعبير التي تطبّق طبقا للمعلومات المتوفرة في البنية الوظيفية. [59]

وتشمل هذه القواعد الأنساق الأساسية الآتية: [60]

1 - قواعد صياغة المحمول.
2 - قواعد صياغة الحدود.
3 - قواعد إسناد الحالات الإعرابية.
4 - قواعد إدماج مؤشر القوة الإنجازية.
5 - قواعد الموقعة.
6 - قواعد إسناد النبر والتنغيم.

و منه يمكننا القول إنّ الجملة تشتق عن طريق بناء بنيات ثلاث: بنية حملية تطبّق بواسطة قواعد الأساس، وبنية وظيفية تبنى بواسطة قواعد إسناد الوظائف، وبنية مكوّنية تطبق بواسطة قواعد التعبير.

خاتمة:

وختاما أقول إنّ المتوكل خير من تجلت الوظيفية على يديه، من خلال العديد من القضايا، كتركيزه على البعد التداولي للغة باعتبارها وسيلة تواصل، و تفسير الخصائص الصورية للغات الطبيعية بربط هذه الخصائص و وظيفة اللسان الطبيعي التواصلية مع مراعاة الطبقات السياقية، بالإضافة إلى بعض تحليلاته المرتبطة بالجملة المركبة، وقضايا الرابط و الجهة و الزمن، حيث قدم تحليلات وظيفية لظواهر اللغة العربية، معجميّها و تركيبيها و تداوليها، وبذلك فقد قدم قواعد اللغة العربية في بعض مسائلها بطريقة تداولية جديدة، قصد تسهيل تدريس النحو العربي، و إعطائه طرقا جديدة في تعليميته.

الهوامش و الإحالات:

(1) – سيمون ديك: باحث هولندي، ولد في هولندا سنة 1940، درس في البداية اللسانيات اللاّتينية في جامعة امستردام التي شغل فيها منصب عميد، ثم النحو الوظيفي الذي يعد أول مؤسس لنظريته التي حملت هذا الاسم في كتابه الأول " Functional Grammar" سنة 1978، ثم أصبحت معروفة باسم نظرية النحو الوظيفي منذ سنة 1988 إلى اليوم، توفي سنة 1955 بمرض لازمه ثلاث سنوات جعله يستعين في نشر كتابه الأخير بكيز هنخفلد.

([2]) – ينظر، د/ أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية – المقاربة المعيار – دار الأمان – الرباط1– ط (2016م) ص 14.

([3]) – ينظر: د/ أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللّغة العربية الوظيفي، دار الثقافة– الدار البيضاء– ط1(1986) ص 9.

([4]) – د/ أحمد المتوكل، اللّسانيات الوظيفية- مدخل نظري- دار الكتاب الجديد المتحدة- بيروت-لبنان- ط2(2010)، ص 56.

([5]) – ينظر: د/ أحمد المتوكل، قضايا اللّغة العربية في اللّسانيات الوظيفية – البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي – دار الأمان – الرباط-ص 16.

([6]) – ينظر: المرجع السابق، ص 16 – 17.

([7]) – ينظر، د/ أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية – بنية المكونات، أو التمثيل الصرفي – التركيبي، دار الأمان الرباط، ص195.

([8]) – د/ أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية – بنية المكونات أو التمثيل الصرفي – التركيبي، ص 196.

([9]) – د/ أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية – بنية الخطاب من الجملة إلى النص- دار الأمان- الرباط- ص 107.

([10]) – د/ أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية ، ص 150.

([11]) – د/ أحمد المتوكل، من البنية الحملية إلى البنية المكونية- الوظيفة المفعول في اللغة العربية- دار الثقافة- الدار البيضاء- ط1(1987)،ص 19.

([12]) – ينظر د/ أحمد المتوكل، من البنية الحملية إلى البنية المكونية، ص 28

([13]) – المرجع السابق، ص 23.

([14]) – ينظر د/ أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص 40.

([15]) – د/ أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ، ص 40.

([16]) – د/ أحمد المتوكل، من البنية الحملية إلى البنية المكونية، ص 19-20

([17]) – المرجع السابق، ص 28.

([18]) – د/ أحمد المتوكل، من البنية الحملية إلى البنية المكونّية، ص 24

([19]) – د/ أحمد المتوكل، من البنية الحملية إلى البنية المكونّية، ص 24 – 25.

([20]) – المرجع السابق، ص 25.

([21]) – ينظر، د/ أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، ص 149.

([22]) –.ينظر، د/ يوسف تغزاوي، الوظائف التداولية و استراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، عالم الكتب الحديث،إربد- الأردن- ط1(2014) ص 108.

([23]) – د/ أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، ص 153.

([24]) – ينظر: د/ أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص 72.

([25]) – د/ أحمد المتوكل، من قضايا الرابط في اللغة العربية، منورات عكاظ، ص 101.

([26]) – د/ أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية ، ص 76.
([27]) – د / أحمد المتوكل، قضايا اللّغة العربية في اللسانيات الوظيفية – بنية الخطاب من الجملة إلى النص – ص 112
([28]) – المرجع السابق، ص 112.
([29]) – د/ أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللّغوي العربي، ص 94.
([30]) – د / أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللّغة العربية، ص 36.
([31]) – المرجع السابق، ص 36.
([32]) – د/ أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، ص 154.
([33]) – د/ أحمد المتوكل، قضايا اللّغة العربية في اللسانيات الوظيفية – بنية الخطاب من الجملة إلى النص، ص 119.
([34]) – د / أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللّغة العربية، ص 36.
([35]) – ينظر:د/ أحمد المتوكل، اللّسانيات الوظيفية، ص 154 – 155.
([36]) – ينظر: د/ أحمد المتوكل، قضايا اللّغة العربية في اللسانيات الوظيفية – بنية الخطاب من الجملة إلى النص، ص 119 – 120.
([37]) – د/ أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللّغة العربية، ص 39.
([38]) – ينظر: د/ أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللّغة العربية، ص 39.
([39]) – المرجع السابق ، ص 40.
([40]) – د/ أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللّغة العربية ، ص111.
([41]) – المرجع السابق ، ص 111
([42]) – ينظر: د/ أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللّغة العربية، ص 113 – 114.
([43]) – ينظر المرجع السابق، ص 117.
([44]) – ينظر د/ أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللّغة العربية ، ص 120.
([45]) – د/ أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، ص 152.
([46]) – ينظر: د/ أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللّغة العربية، ص 140.
([47]) – ينظر: المرجع السابق ، ص 152
([48]) – ينظر المرجع السابق، ص153
([49]) – ينظر المرجع السابق، ص 164.
([50]) – ينظر:د/ أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللّغة العربية ، ص 156.
([51]) – المرجع السابق، ص 157.
([52]) – المرجع السابق ، ص 158.
([53]) – ينظر: المرجع السابق ، ص 167 – 168.
([54]) – ينظر: د/ أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللّغة العربية، ص 11.
([55]) – ينظر: د/ يوسف تغزاوي، الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، ص 101.
([56]) – ينظر: د/ يوسف تغزاوي، الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، ص 101 – 102.
([57]) – ينظر: د / أحمد المتوكل، من قضايا الرابط في اللّغة العربية، ص 99.
([58]) – ينظر: د / أحمد المتوكل، اللّسانيات الوظيفية، ص 151.
([59]) – ينظر: د / أحمد المتوكل، اللّسانيات الوظيفية ، ص 160.
([60]) – د/ أحمد المتوكل، من قضايا الرابط في اللّغة العربية، ص 105، ودراسات في نحو اللّغة العربية، ص 18 واللّسانيات الوظيفية ،ص 160.